

11 من قوله: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ..)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوقَّفُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحْزِخَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ لِلْمُنْبَلُونَ فِي أُمُوْلِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، قوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنِّي * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوْلَةُ الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ [الرحمن: 26-27] فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديوممة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها في صلب آدم وانتهت البرية، أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرة وقليلها، كبيرة وصغرى، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة، ولهذا قال تعالى: وَإِنَّمَا تُوقَّفُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا علي بن أبي الهبي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب، قال: لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت، وإنما توقفون أجركم يوم القيمة إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبِالله فَتَّقُوا، وإِيَاه فَارْجُوا، فإن المصائب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال جعفر بن محمد: فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام، الشیخ: وهذا الخبر منقطع؛ ليس بال صحيح والحضر قد مات قبل ذلك بمدة ودهر طويل، ويقال إنه جبرائيل قد جاءهم فالله أعلم، المقصود أن الخبر لو صح فالله أعلم هل هو جبرائيل أو من الملائكة أو من مؤمني الجن للتعزية، والأية الكريمة مع أشباهها من الآيات كلها دالة على أن جميع النفوس كلها ميتة، نفوس بني آدم ونفوس الجن والملائكة وجميع النفوس كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوقَّفُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يعني يوم القيمة وإلا قد يعطون في الدنيا ما شاءه الله من جراء كما يجزي الكافر في أعماله الطيبة في الدنيا طعمة في الدنيا، وكما يجزي المؤمن في بعض أعماله في الدنيا ويعطى عليها في الآخرة كذلك فضل الله، لكن الجزاء الكامل والناتم والوافي كله يوم القيمة.

فَمَنْ رُحْزِخَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وهذا هو الفوز رحمة الله عن النار وأنجاه منها وفار بالجنة والنعيم فهذا هو الفائز الحقيقي هذا هو السعيد وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ يعني يغتر به أكثر الخلق ولا ينتبه لهذا المتعة ويسلم من الغرور إلا القلائل من الناس وهم أهل الإيمان والتقوى وأكثر الخلق يغتر بهذا المتعة وله يغضب وله يرضى وله يطلب قد نسي الآخرة وأعرض عنها ولم يهمه إلا هذا المتعة العاجل هذا حال الأكثرين، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي

الشَّكُورُ] سبأ: 13 [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ] [ص: 24] وقال في آيات كثيرات: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [الشعراء: 8] وأما هذا الأثر فهو منقطع لأن محمد بن علي الباقر لم يدرك علياً ولم يسمع من علي، فهو عن جعفر الصادق عن محمد الباقر بن علي بن الحسين عن جده وجده أبيه علي بن أبي طالب وبينهما مسافة ولم يدركه وهو منقطع، والحضر قد مات كما قال المحققون من أهل العلم من دهر طويل، وفي هذا تعزية إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فباليه فتقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، فهذه تعزية للسامعين؛ إما من ملك من الملائكة وإما من مؤمن من مؤمني الجن وليس بمستغرب. وإننا ندعى ضعيف لانقطاع.

وقوله: فَمَنْ رُحْزَخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو حاتم، حدثنا محمد بن عبد الله الأنباري حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرءوا فَمَنْ رُحْزَخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ هذا حديث ثابت في الصحيحين، من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة. الشيخ: وهذا ثابت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: رباط في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروح يروحها في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها.

وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه، ومن حديث محمد بن عمرو هذا ورواه ابن مردوه من وجه آخر، فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، أئبنا حميد بن مسدة أئبنا عمرو بن علي عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها قال: ثم تلا هذه الآية فَمَنْ رُحْزَخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ.

ونقدم عند قوله تعالى: وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102] ما رواه عن وكيع بن الجراح في تفسيره عن الأعمش، عن زيد بن وهب. عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يرتحل عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ولیأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه. وقد رواه الإمام أحمد في مسنده عن وكيع به. الشيخ: ورواه مسلم أيضاً في صحيحه.

وقوله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ تصغير لشأن الدنيا، وتحقيق لأمرها، وأنها دنيئة فانية، قليلة زائلة، كما قال تعالى: بِلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ○ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [الأعلى: 16]

[17] وقال تعالى: وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى [القصص: 60]، وفي الحديث والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمض أحدهم إصبعه في

اليوم، فلينظر بم ترجع إليه وقال قتادة في قوله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ قال: هي

متاع متروكة أو شكت - والله الذي لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

وقوله تعالى: **لَنُبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** كقوله تعالى: **وَلَنُبْلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَلَنُقْصِنَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** [البقرة: 155] إلى آخر الآيات، أي لا بد أن يبتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله، ويبتلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء.

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا يقول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسليا لهم عما نالهم من الذي من أهل الكتاب والمرجع، وأمرا لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله، فقال تعالى: **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْتَقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ**.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهراني، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره، قال: كان النبي ﷺ وأصحابه يغفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا** قال: وكان رسول الله ﷺ يتأنى في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، هكذا ذكره مختصرا.

وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولا، فقال: حدثنا أبو اليمان، أئبنا شعيب عن الزهراني، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد، حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي الشیخ: وهو ما أسلم، هو مات على الكفر يعني قبل أن يظهر الإسلام قبل أن ينافق يعني أولاً أظهر الكفر وأبى أن يسلم، ولما وقعت غزوة بدر ورأى ظهور المسلمين أظهر الإسلام نفاقاً وبقي على نفاقه حتى مات منافقاً، نسأل الله العافية.

وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبادة الأواثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ، ثم وقف، فنزل، ودعاهم إلى الله ﷺ وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا. ارجع إلى رحلتك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بل يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا، فقال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فوالله الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله

بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلاح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ، وأصحابه يغفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا الآية وقال تعالى: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحُقُوقُ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ [البقرة: 109] الآية، وكان النبي ﷺ يتأنى في العفو ما أمره الله به حتى أذن له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش قال عبد الله بن أبي بن سلوى ومن معه من المشركين وعدة الأولئك: هذا أمر قد توجه فبایعوا الرسول ﷺ على الإسلام وأسلموا. فكل من قام بحق أو أمر بمعرفة، أو نهى

عن منكر فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله والرجوع إلى الله .
الشيخ: هذا هو الواجب، فعبد الله بن أبي كانوا قد اصطاحوا أن يملكونه عليه ويجعلوه ملكاً في المدينة ورئيساً في المدينة فلما جاء الله بنبيه ﷺ وهاجر المدينة ورأى أن الأمر قد فاته وزال ما أريد به شرق بالأمر وكراه ما جاء به النبي ﷺ لأنه فوته هذه الهدية ووجد في نفسه من ذلك الشيء الكثير والعياذ بالله حتى وقعت بدر لما وقعت غزوة بدر وقتل الله فيها صناديد قريش وكبارهم ورؤسائهم وظهر دين الله على أعداء الله قال الخبيث عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين قالوا: هذا أمر قد ظهر، هذا دين قد توجه وخافوا فبایعوا، وأظهروا الإسلام خوفاً من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم،..... النفاق والكبر والكرابة للحق حتى مات عبد الله على حاله منافقاً وصلى عليه النبي ﷺ لإظهاره الإسلام فأنزل الله في حقه ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا ثُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ [التوبه: 84] نسأل الله العافية.
وهذا فيه عبرة وعظة وذكرى وأن المؤمن الداعي إلى الله لا إلى أعداء فقد آذوا الرسل قبله وآذوا أهل الإيمان قبله، فالواجب عليه أن يصبر ويحتسب ويمضي في سبيله وفي دعوته إلى الله متحملاً ما في ذلك من الأذى صابراً على ما يناله من ذلك يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، هكذا أهل الإيمان في الأمم قبلنا وفي هذه الأمة المحمدية صبروا حتى بلغوا ما عليهم وجعل الله لهم العاقبة الحميدة في الدنيا وفي الآخرة كما قال ﷺ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ [هود: 49] الله المستعان.

س: بالنسبة للإنسان إذا أظهر النفاق وهو يدعى أنه مسلم هل يصلى عليه؟
الشيخ: لا ما يصلى عليه لأنه منافق كافر إذا ثبت عنه أنه منافق ما يصلى عليه. وإن أخذ الله ميثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُفُّونَهُ فَنَبُدُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ إِبْهَانًا قَلِيلًا فَيُنْسَ مَا يَشْتَرُونَ ○ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمِفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هذا توبیخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا

بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره في الناس، ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما ودعوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الذي يحيى السخيف، فبئس الصفة صفقتهم، وبئس البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيّبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبتلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ، أنه قال :من سئل عن علم فكتمه ألم يوم القيمة بلجام من نار.الشيخ قال :**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ [آل عمران: 187]** هم اليهود والنصارى هم أهل الكتاب التوراة والإنجيل **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ لِتُبَيَّنَ لِلنَّاسِ يَعْنِي الْعِلْمَ وَلَا تَكُنُمُؤْهَدُ الْعِلْمَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ أَنْ يَبْيَنُوا مَا عَنْهُمْ مِنْ الْعِلْمِ** وأن الله باعثه في آخر الزمان وأنه يبعث في العرب وأنه في مكة ثم في المدينة عندهم علوم بهذا ولكن جدوها وأخفوها حسداً وبغياناً وكراهة أن يكون هذا النبي في العرب وكراهة أن ويتبعوه مأكلهم التي قد تكون عند بعض الناس يمنعوها إذا تابعوا محمداً عليه الصلاة والسلام، فالمقصود أنهم آثروا الدنيا والحظ العاجل وقدموا مالهم عند الناس من حظوظ دنيوية ومكانة ومنزلة ورياسة وخافوا أن تذهب عليهم إذا تابعوا محمداً **وَبَيْنُوا أَمْرَهُ وَأَوْضَحُوهُ** للناس، فلهذا غضب الله عليهم ومقتهم وبين خسارهم ودمارهم وأنهم باعوا الدنيا بالآخرة، والنصارى يغلب عليهم الجهل، أما اليهود فعندهم علوم كثيرة لكنهم ضيّعواها وباعوها بالحظ العاجل ولم يستجيبوا الداعي الله **وَلَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فَخَسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَبَأْوَرُوا بِغَضْبِهِ** الله على غضب، واستحقوا عذابه جل وعلا ومقته واستحقوا السمعة السيئة والذم في الدنيا والآخرة، وفي هذا تحذير أيضاً لأمة محمد **مَا فَعَلَهُ الْيَهُودُ قَوْمٌ بِهِتْ وَقَوْمٌ** مغضوب عليهم وقوم باعوا الآخرة بالدنيا فلا يجوز لأهل الإيمان من أمة محمد أن يشابهوهم أو يقلدوهم أو يسيراو على مسيرتهم أو يسلكوا مسلكهم فإنه مسلك خبيث مسلك وحيم، فالواجب على الأمة أن يذروا ذلك وأن يبينوا ما عندهم من العلوم للناس ويشرحوها للناس ويوضحوها للناس سئلوا أو لم يسألوا، فإذا سئلوا ولم يجيبوا صار الأمر أشد ولهذا في الحديث: "من سئل عن علم فكتمه الجمّه الله يوم القيمة بلجام من نار" وفي لفظ: "من سئل عن علم علمه وكتمه الجمّه الله يوم القيمة بلجام من نار" وفي هذا المعنى قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعِنُونَ** **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ** [البقرة: 159، 160] وبين أن من كتم العلم ولم يبين يلعنه الله ويلعنه اللاعنون من خلقه وأنه لا يسلم من هذا إلا إذا كان وبين ما عنده تاب إلى الله وأصلح في عمله وبين ما عنده من العلم.

ومعلوم أن الناس في حاجة إلى العلم، والطريق إلى الله لا بد أن يكون من طريق ما جاءت به رسالته فإذا كتم العلماء العلم لم يعرف الناس هذا الطريق ولم يتبيّنوه حتى يسلّكوه فلا طريق إلى معرفة الطريق الذي يوصل إلى الله وإلى الجنة والكرامة إلا من طريق الرسل، فإذا كتم العلماء ما عندهم لم يعلم الناس الطريق، فالواجب البيان والإيضاح في كل مكان وفي كل زمان، وما جاء به الرسول ﷺ من العلم والهدي وبيان طريق الحق الذي من سلكه نجا ومن تخلف عنه هلك والحدّر من الكتمان لحظ عاجل فإن هذا هو طريق المغضوب عليهم وهو طريق الضالين وهو طريق علماء السوء فلا يجوز للمؤمن أن يتبعهم ولا أن يقلّدهم في ذلك ولا أن يتشبه بهم في ذلك. قوله تعالى: **لَا تَحْسِنَ النَّاسَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا**، يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: من ادعى دعوة كاذبة ليكثر بها، لم يزده الله إلا قلة. وفي الصحيح أيضاً المتسبّع بما لم يعط كلاّبس ثوبٍ زور.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج عن ابن جرير، أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل أمرٍ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعين، فقال ابن عباس: وما لكم وهذه، إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: **وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّاسِ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُمُونَهُ فَبَدُؤُهُ وَرَأَهُ ظُهُورُهُمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِنُسَّ مَا يَشْتَرُونَ ○ لَا تَحْسِنَ النَّاسَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا** الآية. وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إيه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أرزوه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحسدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه.

وهكذا رواه البخاري في التفسير، ومسلم والترمذى والنمسائي في تفسيريهما، وابن أبي حاتم، وابن جرير، والحاكم في مستدركه وابن مردوه كلهم من حديث عبد الملك بن جرير بنحوه، ورواه البخاري أيضاً من حديث ابن جرير عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فذكره الشيخ: والمعنى أن من فرح بما أتى بكتمان العلم وعدم بيان العلم أو بما أتى من المعاصي والبدع والخرافات وما يخالف أمر الله وأحب أن يحمد بما لم يفعل فهو متشبه باليهود في عملهم القبيح فله عذاب أليم بما أتى من كتمان العلم وتشبه في أعداء الله وفرحه بأشياء يتزّين بها ويتظاهر بها وهو ليس من أهلها رباء وسمعة.

وقال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، أبناؤنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: **أَنْ رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلّفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: لَا تَحْسِنَ النَّاسَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا** الآية، وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم بنحوه. وقد رواه ابن مردوه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم،

قال: كان أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت عند مروان فقال: يا أبا سعيد رأيت قوله تعالى: لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَقْرَهُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا، وَنَحْنُ نَفْرَحُ بِمَا أَتَيْنَا وَنَحْبُ أَنْ نَحْمِدَ بِمَا لَمْ نَفْعُلْ؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك، إنما ذاك أن ناساً من المنافقين كانوا يتختلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثاً، فإن كان فيهم نكبة فرحاً بتخلفهم، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوه ويهموهم على سرورهم بالنصر والفتح، فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يعلم هذا؟ فقال مروان: كذلك يا زيد؟ قال: نعم صدق أبو سعيد، ثم قال أبو سعيد: وهذا يعلم ذاك - يعني رافع بن خديج -، ولكنه يخشى أن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخري: ألا تحمدني على ما شهدت لك، فقال أبو سعيد: شهدت الحق فقال زيد: أولاً تحمدني على ما شهدت الحق؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم، عن رافع بن خديج: أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رض، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم، فقال له ما ذكرناه ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر، والله أعلم. الشيخ: يعني عامة فيمن جد الحق وأنكره وجحد ما فعله من الأشياء التي فعلها رباء وسمعة، ولا فرق بين ما فعله منافقين من تخلفهم عن الغزو واعتذر لهم بأشياء باطلة يفرجون بما قالوا وهم ليسوا كذلك، فكل من جد الحق وأنكره واستحسن الباطل أو ادعى ما ليس له وزعم أنه فعله فهو داخل في هذا، فإن الواجب إظهار الحق وبيانه والدعوة إليه وعدم الرياء وعدم السمعة، فمن ستر الحق وأخفاه وأحب ما أتى من ذلك أو فعل الباطل وزينه للناس وأحب ما فعله من ذلك أو ظاهر بأعمال صالحة رباء وسمعة وأحب أن يحمد بما لم يفعل من أشياء أخرى لم يفعلها كل ذلك داخل في هذه الآية التي فيها تحذير وهو يعم عمل المنافقين نسأل الله العافية.

أما كون الإنسان يحب أن يحمد بما ظهر من الخير ولم يرائي الناس، ولكنه بلغه الخير الذي فعله وبلغه أن الناس يثنون عليه ويرضون ما عمل ويشكرونله فهذا مثل ما قال النبي ﷺ: ذلك عاجل بشري المؤمن ما دام لم يقصد رباء ولا سمعة وإنما عمل الله وتعبد الله ولكن بلغه ما بلغه من رضا الناس لعمله وشكرهم له على عمله فسر بذلك وفرح بذلك لا يضره ذلك كذلك كما في الحديث الصحيح عن أبي ذر أنه سأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: ذلك عاجل بشري المؤمن كونه يثنى عليه في الدنيا ويثنى عليه في الآخرة من غير رباء ولا سمعة ولا تعد لحدود الله ولا كتمان لحق الله.

س: من أحب أن يحمد بما لم يفعل ولم يتسمع؟
الشيخ: لا ينبغي له الآية تعم، كونه ما فعل شيئاً ويحب أن يحمد بشيء ما فعله، لأن يقال له أنه متهدج بالليل وأنه متصدق وهو ما فعل شيء. هذا فيه شبهة.
 س: كلام ابن عباس يدل على ...؟

الشيخ: هذا في اليهود، ابن عباس أخبر عن اليهود وأبو سعيد وزيد ورافع أخبروا عن المنافقين
والآية تعم الجميع.

س: قوله: أين هذا من هذا؟

الشيخ: هذا من كلام ابن عباس، ولكن الصحابة الثلاثة ذكروا العموم.

وقد روى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري، عن محمد بن ثابت الأنباري، أن ثابت بن قيس الأنباري قال: يا رسول الله، والله لقد خشيت أن أكون هلكت، قال لم؟ قال: نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهوري الصوت، فقال رسول الله ﷺ لا ترضي أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: بل يا رسول الله. فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسیلمة الكذاب. الشيخ: وهذا ليس من ذاك ولهذا ما أنكر عليه النبي ﷺ ذلك، فإن كونه يحب الحمد على من فعل الخير وعلى من فعل المعروف لا يضره ذلك لأنّه يشجعه ويعينه، وكونه يحب الجمال فليس من الخيلاء، وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا فقال له رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، هل ذلك من الكبر؟ فقال: لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغumption الناس وليس محبة الجمال وكذلك رفع الصوت إذا كان لم يقصد برفع الصوت المخالفة ولا إيذاء النبي ﷺ وإنما رفعه لعلة وأسباب، وكان ثابت خطيب النبي ﷺ إذا جاء الوفود كان هو الخطيب الذي يرفع صوته ليبلغ ما جاء به النبي ﷺ ويبين شمائل النبي وأخلاقه عليه الصلاة والسلام ويبين محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق، هذا ليس من باب رفع الصوت على النبي ﷺ بل هو من باب البلاغ ومن باب البيان عن رسول الله ﷺ والدلالة على ما جاء به الإسلام من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي ترغّب الناس في الدخول فيه.

وهكذا الخطيب في مسجده ﷺ إذا كان يخطب الجمع عن الوعظ لإبلاغ الناس ليس من رفع الصوت الذي نهي عنه عند النبي عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: فَلَا تَحْسِنُهُمْ بِمِقَارَةٍ مِنَ الْعَذَابِ يَقْرَأُ بِالنَّاءِ عَلَى مُخَاطَبَةِ الْمَفْرَدِ، وَبِالْيَاءِ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ أَيْ لَا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ بَلْ لَا بَدْ لَهُمْ مِنْهُ وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ثم قال تعالى: وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي هو مالك كل شيء، والقادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا غضبه ونقمته فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، والتقدير الذي لا أقدر منه.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ○ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ○ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِي لِإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرِبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَيْرَار ○ رَبَّنَا وَآتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

قال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا يحيى الحمانى، حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أنت قريش اليهود، فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرین، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبا، فدعى ربه، فنزلت هذه الآية إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ فَلَيَتَفَكَّرُوا فِيهَا.

وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة، والله أعلم، ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَيْ هَذِهِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتْسَاعِهَا، وَهَذِهِ فِي انخفاضِهَا وَكَثْفَرِهَا وَاتْضَاعِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ الْمُشَاهِدَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ كَوَافِكَ سِيَارَاتٍ، وَثَوَابِتٍ وَبَحَارٍ وَجَبَالٍ وَقَارَ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ، وَزَرْوَعٍ وَثَمَارٍ، وَحَيْوانٍ وَمَعَادِنٍ، وَمَنَافِعٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَلْوَانُ وَالرُّوائحُ وَالطَّعُومُ وَالخَوَاصُ.الشِّيخُ: وَفِي كُلِّهَا آيَاتٌ، اللَّهُ جَلَّ وَعَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَجَعَلَهُ آيَةً عَظِيمَةً وَلَهُذَا قَالَ سَبَّانَهُ لَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر: 57] فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ وَعَبَرَ لِمَنْ تَدَبَّرَ وَتَعْقَلَ، السَّمَاوَاتِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَعَظَمَتْهَا وَارْتِفَاعَهَا وَحَمْلَهَا مَا فِيهَا وَهِيَ عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ فِي الْفَضَاءِ مِنَ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ [كُلُّ مَا فِيهَا مِنْهُ كَوَافِكَ السِّيَارَاتِ وَالثَّوَابِتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْأَرْضُ هُذِهِ فِي اتْسَاعِهَا وَكَثْفَرِهَا وَجَبَالِهَا وَأَنْهَارِهَا وَبَحَارِهَا وَحَيْوانَاتِهَا وَمَعَادِنِهَا وَأَشْجَارِهَا وَسَائِرٌ مَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ كُلُّهَا آيَاتٌ عَظِيمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى قُدرَةِ الْبَارِيِّ [وَأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّهُ الْمُسْتَحْقُ لِأَنَّ يَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ جَلَّ وَعَلَى وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا رَبُّ سُوَاهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] الشُّورِيُّ: 11].

وَاحْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيْ تَعَاقِبُهُمَا وَتَقَارِضُهُمَا الطُّولُ وَالْقُصُرُ، فَتَارَةٌ يَطِلُّ هُذَا وَيَقْصُرُ هُذَا، ثُمَّ يَعْتَدِلُانِ ثُمَّ يَأْخُذُ هُذَا مِنْ هُذَا فَيَطِلُّ الَّذِي كَانَ قَصِيرًا، وَيَقْصُرُ الَّذِي كَانَ طَوِيلًا. وَكُلُّ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى: لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ أَيْ الْعُقُولُ التَّامَةُ الْذَكِيرَةُ الَّتِي تَدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِحَقَائِقِهَا عَلَى جَلِيلَاتِهَا، وَلَيْسُوا كَالصِّمِّ الْبَكُّمِ الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَالشِّيخُ: يَعْنِي هَذِهِ الْعُبَرُ إِنَّمَا هِيَ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ يَعْنِي أُولَئِكَ الْبَصَائِرُ وَالْعُقُولُ الْنَّيِّرَةُ الْحَيَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي تَفَكَّرُ وَتَعْقَلُ وَتَفْهَمُ، أَمَّا الْفَلَوْبُ الْمُنْحَرِفَةُ الَّتِي قَدْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهَا فَلَا تَتَبَهَّلُ لِشَيْءٍ صَمَّ بَكُمْ عَمِيَّ فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ؛ لَأَنَّهُمْ لَيْسُ عَنْهُمْ مِنَ الْبَصَائِرِ مَا يَقْبِلُونَ بِهِ الْأَشْيَاءَ بِلْ قُلُوبَهُمْ فِي عَمَى وَفِي صَمَمٍ وَبَعْدَ عَنِ الْهَدَى وَرَضَا بِالشَّهْوَاتِ وَالْحَضِّ العَاجِلِ.

الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ وَكَائِنُونَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ○ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يُوسُف: 105، 106] ثُمَّ وَصَفَ تَعَالَى

أولي الألباب، فقال :**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**. كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرايرهم وضمائركم وألسنتهم. الشيخ: والمعنى أن أوقاتهم مشغولة وليسوا غافلين بل هم ذاكرون الله ﷺ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وسائلرون وواقفين في جميع أحوالهم، ذكر الله جل وعلا ليس زائلاً عنهم وليسوا بغافلين عنه، بل هم مشغولون بذكر الله ﷺ بالقلوب والألسنة والجوارح، والذكر يكون بالعمل كالصلوة ونحوها، ويكون باللسان كالتهليل، ويكون بالقلوب كخوف الله ومحبته وتعظيمه .. ما يستحق إله، والتفكير في دلائل قدرته وعظمته جل وعلا كل ذلك من الذكر الذي شرعه الله وعظم أهله إله، ثم التفكير الذي يفيدهم وينفعهم في دنياهم وأخراهم.

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته و اختياره ورحمته.

وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إنني لأخرج من منزلتي مما يقع بصربي على شيء إلا رأيت الله على فيه نعمةولي فيه عبرة، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل والاعتبار. وعن الحسن البصري أنه قال: تفكرا ساعة خير من قيام ليلة، وقال الفضيل قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قيله تذكرا وصمتها تفكرا، ونظره عبرا، وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألم للتفكير، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة، وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرة أمرى فقط إلا فهم ولا فهم أمرى فقط إلا علم، ولا علم أمرى فقط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله ﷺ حسن، والتفكير في نعم الله أفضل العبادة.

وقال معيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكرونكم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامها وأطباقها. وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه قد ذهب عقله.

وقال عبدالله بن المبارك: مر رجل براهيب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كنوز من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال، وكنز الأموال.

الشيخ: والمعنى أن الدنيا تصير إلى هذا، كنز الرجال يعود إلى المقبرة، وكنز الأموال يعود إلى المزبلة، ففي هذه عبر أموالهم التي جمعوا تجعل في المأكل والمشارب ثم تؤول في العاقبة إلى المزابل فهذا كنز الأموال، وكنز الرجال هذه المقابر كل ميت ينتهي وينقل إلى المقبرة، يعني

فاعتبر فأنت صائر إلى هذا فإن المقابر هي مصير الناس ثم بعد المقابر ما هو أشد وما هو أعظم من النشر والحساب والجزاء، ثم ما يدرى أين المنصرف هل ينصرف إلى الجنة أو إلى النار. وأما المزابل فهي نهاية أموال الناس وهي غاية أموال الناس وما يجمعون في الأغلب تنتهي إلى بطونهم وبطونهم ينتهي ما خرج منها إلى المزابل.

وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين، فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ [القصص: 88]الشيخ: والخرابات التي في الصحاري فيها عبر، كانت مسكونة ثم ذهب أهلها وتركوها، الديار كان فيها أقوام ذهبوا وتركوها.

وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتضيتان في تفكير، خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن البصري: يا ابن آدم، كل في ثلث بطنه، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تنفس للفكرة. الشيخ: وهذا معنى الحديث الذي رواه أحمد وبعض أهل السنن عن المقدم بن معد يكرب عن النبي ﷺ أنه قال: ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وقال بشر بن الحارث الحافي: لو تفكك الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه. وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس، قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكير.

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفاً، واتخذ المساجد بيتكاً، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ؓ، أنه بكى يوماً بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تقدرها مراتتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواطن لمن اذكر.

وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نرفة المؤمن الفكر

نحن كل على خطر

نحمد الله وحده

قد تقضى وما شعر

رب لاه وعمره

المنى مونق الزهر

رب عيش قد كان فوق

وظل من الشجر

في خرير من العيون

إن في ذا لمعتبر	لليبي إن اعتبر	إن في ذا لعبرة
نحمد الله وحده	إن في ذا لمعتبر	غيرته وأهله
وسرور من النبات	سرعة الدهر بالغير	وطيب من الثمر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وأياته، فقال: وَكَلَّا إِنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: 105-106] ومدح عباده المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلاً أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً، بل بالحق لتجزي الدين أساوا بما عملوا، وتجزي الدين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل، فقالوا سُبْحَانَكَ أي عن أن تخلق شيئاً باطلًا فقنا عذاب النار أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل.

الشيخ: وهذا يبيّن أنه ينبغي لأهل الإيمان أن يكون لهم عناية بهذه الآيات، والتفكير في الحكمة حتى يستفيدوا من ذلك ما يوجب لهم الخضوع لله والاستقامة على أمره والمحافظة على دينه والحذر عما نهى عنه [١]، فإن هذه السموات وهذه الأرض وما فيها من العجائب والخلوقات المتنوعة كلها من الدلائل على قدرته العظيمة وأنه رب العالمين وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق لأن يعبد [٢]، ولهذا قال في صفة أولي الألباب: **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ** [آل عمران: 191] وذم الجهلة والكفرة فقال: **وَكَأَيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** [يوسف: 105] يعني هناك آيات في السموات هذه النجوم والكواكب السيارة والثابتة وهذه الشمس وهذا القمر آيات وعجائب وعبر، ولكن ليس هناك من يعتبر ويتأمل ويتعظ إلا القليل، ولهذا قال: **وَكَأَيْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَأَيْنِ كَثِيرٌ يَعْنِي آيَاتَ كَثِيرَاتَ، كَأَيْنِ وَكُمْ كُلُّهَا تدلُّ عَلَى الْكثُرةِ، فَالْمَعْنَى آيَاتَ كَثِيرَاتَ فِي الْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَيَنْظَرُونَ إِلَيْهَا وَيَشَاهُدُونَهَا بِأَعْيُنِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَتَأْمِلُونَ وَلَا يَتَعَقَّلُونَ كَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا شَيْئًا، وَهَذَا مِنْ غَلْظَ** القلوب وجهاتها وعدم عنايتها بما ينبغي لها أن تعتنى به.

والمعنى الحث على الإقبال على تدبر هذه المخلوقات والنظر فيها بعين الاعتبار والاستفادة منها وأنها لم تخلق عبثاً ولا سدى، ولكنها خلقت لحكمة عظيمة ليعتبر بها أولوا الألباب وليسقيدوا منها عظمة الخالق سبحانه وأنه المستحق لأن يعبد ويعظم ويطاع أمره وينتهي عن نهيه، وللهذا قال في الآية الأخرى **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ** [الأحقاف:3] ليس لهم عناية ولا تدبر

ولا تعقل والله يقول في الآية الأخرى :**كِتَابُ أَنْرَلَاهُ إِلَيْكُ مُبَارَكٌ لِيَدَبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** [ص:29] و يقول :**وَكَائِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** [يوسف: 105-106] يعني آيات متعددة كثيرة لكن لا يتبعرون فيها ولا يتذمرونها ولا ينظرون فيما خلقت من أجله حتى يستفیدوا وحتى ينتبهوا وحتى تكون هذه الآيات ... لخضوعهم لله وتعظيمهم لله وذلهم بين يديه واستكانتهم له [وأداءهم حقه وبعدهم عما يغضبه]. فقنا عذاب النار أي يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو منزه عن النقص والعيب والعيث، فقنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لعمل صالح تهديننا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم. ثم قالوا رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ أَيِّ أَهْنَتْهُ وَأَظْهَرْتْ خَزِيهِ لِأَهْلِ الْجَمْعِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ أي يوم القيمة لا مجير لهم منك. ولا محيد لهم مما أردت بهم.الشيخ: يعني ما هناك شر أعظم من شر من سبق إلى النار على رؤوس الأشهاد، نعود بالله من سبق إلى النار على رؤوس الأشهاد فقد أخري غاية الخزي نسأل الله العافية، رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَفَضَحْتَهُ على رؤوس الأشهاد بسبب كفره ومعاصيه وضلاله، فينبغي للعاقل أن يحذر هذه الفضيحة وهذا الخزي يوم القيمة، وذلك بالاستقامة على أمر الله والHZ من معاصيه والوقوف عند حدوده حتى يكون من وفد الجنة ومن السعداء الذين الله يوم القيمة الفضل العظيم والصفات الحميده والآيات التي تدل على كمال استقامته وكمال خضوعه لله وعلى فضل قيامه بحقه I، تنشر لهم آيات الفضائل ودلائل الفضائل وما يدل على سعادتهم وناجاتهم وينادي أين فلان ابن فلان، بخلاف أولئك الضالين الذين ينادي عليهم بالخزي والدمار والفضائح، ولهذا في الحديث الصحيح يقول ﷺ: يرفع لكل غادر لواء يوم القيمة عند استهـ. عند مقعدهـ. يقال له: هذه غدرة فلان بن فلان يرفع له لواء ينظر إليه ويشاهد علامـة على أنه كان في الدنيا غادراً ناقضاً للعهود غير مستقيم على أمر الله نسأل الله العافية. رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِي لِلإِيمَانِ أَيْ دَاعِيَا يَدْعُ إِلَى الإِيمَانِ، وَهُوَ الرَّسُولُ أَنْ أَمِنُوا بِرِبِّكُمْ فَأَمَّا أَيْ يَقُولُ أَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا، أَيْ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَاتَّبَعْنَاهُ، أَيْ بِإِيمَانِنَا وَاتَّبَاعِنَا نَبِيَّكُمْ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا أَيْ اسْتَرْهَا، وَكَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ أَيْ الْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ.الشيخ: فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا يعني استرها علينا وامحها عنا، يعني اغفر لنا الذنوب استرها علينا لا نقضها وامحها عنا هكذا أهل الإيمان وأهل النقوى يسألون ربهم جل وعلا غفر الذنوب وتکفير السيئات، كَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ فَهُمْ يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ غَفْرَانَهَا وَمَحْوَهَا عَنْهُمْ وَسْتَرْهَا عَلَيْهِمْ، وَمَحْوَهَا مَنْ صَحَّافُهُمْ.رَبَّنَا وَأَتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِّنَا قيل: معناه على الإيمان برسلك، وقيل: معناه على السنة رسلك. وهذا أظهر.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمن، حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد، عن أبي عقال، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم

القيامة سبعين ألفا لا حساب عليهم، ويبعث منها خمسين ألفا شهداء وفودا إلى الله، وبها صنوف الشهداء رؤوسهم مقطعة في أيديهم تتجأ أو داجهم دما، يقولون ربنا وأتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة إنك لا تخلف الميعاد فيقول الله: صدق عبدي أغسلوهم بنهر البيضة. فيخرجون منه نقاء بيضا. فيسرحون في الجنة حيث شاؤوا وهذا الحديث يعد من غرائب المسند، ومنهم من يجعله موضوعا، والله أعلم. الشيخ: والله وعد عباده على السنة الرسل جزاءهم فأهل الإيمان بشرهم الله جل وعلا أن يؤتىهم ما وعدهم على السنة الرسل من دخول الجنة والنجاة من النار، والشهداء موعودون بأنهم من أهل الجنة فيسألون الله جل وعلا أن يعطىهم ما وعدهم من ذلك وهو يفيهم [إفإنه لا يخلف الميعاد ولكنه يفي بوعده جل وعلا ولا يخلف وعده] قال جل وعلا: **وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** [آل عمران: 169] فهم في الجنة يسرحون فيها وأرواحهم ترجع إلى قناديل معلقة تحت العرش حتى يردها الله إلى أجسادها يوم يبعثون وهم في البرزخ ينعمون ويسرحون في الجنة حيث شاؤوا، أرواحهم ترجع إلى قناديل معلقة في العرش تكون فيها وتلوي إليها، وهكذا أرواح المؤمنين تسرح في الجنة كالطائر يعلق في شجر الجنة ويأكل من ثمارها حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيمة، فالمؤمنون عموماً والشهداء خصوصاً موعودون بالجنة والكرامة والله سبحانه سوف يعطىهم ما وعدهم به وينجز لهم ما وعدهم بهم [حين يقوم الأشهاد حين تقوم الساعة حين يحضر الناس إلى الله جل وعلا وحين ينصرف الناس من ذلك المجمع العظيم إلى الجنة أو إلى النار، فريق في الجنة وفريق في السعير، فالمؤمنون والشهداء بوجه أخص يدخلون الجنة، وأهل الكفر بالله والنفاق والضلال يحرشون إلى النار نعوذ بالله من ذلك، وأهل المعاصي على خطير عظيم منهم من يعفى عنه لأعماله الصالحة وتحقيقه وإخلاصه، ومنهم من يساق إلى النار بأعماله السيئة التي مات ولم يتتب منها حتى يطهر وحتى يمحص من سيئاته ثم بعد هذا يخرج من النار إلى الجنة].

وَلَا تُخْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أي على رؤوس الخلائق، إنك لا تخلف الميعاد أي لا بد من الميعاد الذي أخبرت عنه رسلك، وهو القيام يوم القيمة بين يديك، وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحارث بن سريج، حدثنا المعتبر، حدثنا الفضل بن عيسى، حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال: العار والتخرية تبلغ من ابن آدم في القيمة في المقام بين يدي الله **لما** يتمنى العبد أن يقول به إلى النار حديث غريب.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجد، فقال البخاري رحمه الله: حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بنت عند خالتها ميمونة، ففتحت رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ** الآيات، ثم قام

فتوضاً واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الناس الصبح. وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني، عن ابن أبي مريم به. ثم رواه البخاري من طرق عن مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثمقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضاً منها، فأحسن وضوئه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يقتلها، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيتين، ثم خرج فصلى الصبح.

وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به. ورواه مسلم أيضاً وأبو داود من وجوه آخر عن مخرمة بن سليمان به.

الشيخ: وهذا يدل على فضيلة قراءة هذه الآيات وأنه يستحب لمن قام من النوم أن يقرأ هذه الآيات من سورة آل عمران وهي آخرها العشر الآيات من قوله: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ [آل عمران: 190] إلى قوله: بِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأِطُوا وَانْقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران: 200] كما قرأها النبي ﷺ عند قيامه من النوم وجعل يمسحه عن وجهه ويقرأ هذه الآيات حتى أكملها عليه الصلاة والسلام تأسياً به ﷺ، ولأن في هذه الآيات من العظة والذكرى ما يجعل المؤمن يتذمر ويتعقل ما فيها من المعاني والأحكام وما ترشد إليه من القيام بأمر الله والعناية بطاعته وعبادته والحذر من مشابهة أعدائه والاستقامة على ما أمر به والصبر على ذلك.

وفيه أيضاً شرعة الاستثناء، فالسنة أن يستاك عند الوضوء ويستاك عند الصلاة اقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام.

وفيه أيضاً من الفوائد أن الإنسان إذا قام عن يسار الإمام ينقل إلى يمينه، ولهذا أخذ النبي ﷺ بأذنه ونقله إلى يمينه، فالواحد يقف عن اليمين مع الإمام لا يقف عن يساره ولكن عن يمينه، فإذا كان المأمومين اثنين وقفوا خلفه وهكذا إذا كانوا أكثر من اثنين.

س: صلاة الليل تصلى جماعة؟

الشيخ: لا بأس لكن لا تكون عادة إنما حسب الاتفاق والمصادفة.







